

## الميلاد

- عن ماذا تفتش؟
- رابي، أين تقيم؟
- تعال و انظر (إنجيل يوحنا 1: 39)

يحرّك تعيّد تجسّد ابن الله في قلوبنا و نفوسنا سرّ ظهور الله لخليقته. بنفس الوقت يدفعنا العيد للتفكير الجدي في مسؤولياتنا للعيش بحسب تعليمه و فتح قلوبنا لسكناه.

بالتجسّد ظهر الله للبشرية، شخصياً و الإنسان، و هو بحالة تفتيش مستمر عن مخلص، عن ماسيا، عن معلم الحقيقة، وعن نبع سرور دائم، أتى لملاقاته حال ظهر. فشعر هذا الإنسان في أعماق نفسه نسمة المحبة، السلام، الإتفاق و الأخوة التي كان يحلم بها منذ سقوطه.

الرعاة، و مع أنهم مُتخذين بالإهتمام بقطيعهم، ساروا وراء الملائكة التي كانت ترنّم (المجد لله في العلى....) مفتشين عن المولود المخلص (لوقا 2: 15). المجوس من المشرق، متمنطقون بزّيهم الملوكي، سافروا من بلاد بعيدة تابعين النجم حتى استقر حيث ولد الملك(متى 2: 1). لا تذكرنا ولادة الرب المخلص بنزول السماء إلى الأرض فحسب و لكن بصعود الأرض إلى السماء، أعني مجهود البشر لإكتشاف الحقيقة، الله نفسه.

في بداية خدمة السيد ذهب إلى حيث كان يوحنا السابق يعمّد. رآه تلاميذ يوحنا. اقترب منه اثنان و سألاه:

" يا سيد! أين تقيم؟"  
أجابهما: تعالوا و انظروا.

يسأل الكثير منا، هذا الصباح، نفس السؤال؛ و يسمع نفس الجواب.  
ماذا تطلبان؟ و نسمع جوابه:

أين يمكننا أن نجدك؟ أين تسكن؟ كيف يمكننا أن نحصل على السلام، الإرادة الحسنة، المحبة و الأخوة؟  
أومن بأنه سيجيبنا: ها أنذا ههنا، في بيوتكم، قلوبكم، كنائسكم، أدياركم، مع المحتاج و المريض و المتسول. أنا معكم بخدامي الملتزمين و الذين يحافظون على مبادئ و تعليمي.

ثم يسأل بعضنا: " يا سيد ! أين تسكن في عالمنا اليوم؟" فيأتي الجواب: تجدونني أعمل، أشجع، أنتظر على باب قلوبكم، قارعاً علّها تفتح لي لأدخل و أسكن. أنظروا حولكم، فستجدوني ههنا و في كل مكان.  
ثم أديرنا بصركم إلى داخلكم، ستجدوني هناك. مع الفقراء، الأيتام، المرضى، العجزة، المحرومين مكسوري القلوب و مع كل الذين تغلّب عليهم الشرير و من حرّموا السلام و العدالة، ستجدوني حيث تعاملون الآخرين بالحسنى، حيث تمسحون الدموع من عيون الباكين و تدخلون بعض السرور إلى قلوبهم، ستجدوني هناك و تسمعون كلماتي: "مباركون أنتم". حيث تخرجون من ذواتكم و تلمسون الآخرين، تقاسموهم السلام و الخيرات، حيث تجعلون كنائسكم مكاناً للصلاة، للخدمة، للمحبة.

هذا هو مفهومي المتواضع لتجسد ابن الله لأجلنا، كمسيحيين. إن صيرورته إنساناً مثلنا لا تعني لا أقل و لا أكثر من محبته الكاملة، عطائه ذاته بالكامل، خلاصه للبشرية القابلة له، سروراً، سلاماً و تجديداً في العطاء. أصبح الله بالمسيح إنساناً، هذا يعني أن الحب أصبح حياتنا، السلام قد لبس النور، الوحدة وجدت طريقاً جديدة و الإتفاق وجد طريقه بين الله و خليقته.

المسيح بيننا، رجالاً و نساءً؛ علينا نحن أن نلاقيه و نقبله، نبقى معه و ننمي شعورنا الداخلي بفرح وجوده. علينا أن نتذكر بأن الكلمات الأخيرة التي لفظها قبل صعوده كانت: "ها أنا معكم دائماً إلى منتهى الدهر" (يوحنا 28 : 20).

في يوم ميلاده هذا نسمعه يقول للمؤمنين به: " لقد نقلت مذودي من بيت لحم إلى قلوبكم . و لكن هل أنتم تطلبوني، كما طلبني الرعاة و المجوس و تلميذي يوحنا المعمدان؟ هل تسألوني " أين أقيم؟ لستم بحاجة إلى السفر بعيداً. انزلوا إلى أعماق نفوسكم، هناك ستجدوني بالإنجيل، بالصلاة، الخدمة و بالالتزام.

تعالوا أيها المؤمنون لنتشجع و نتقدم بإيمان مفتشين عنه، علنا نجد منزله، المنزل الأزلي حيث السلام و الحق والسرور.

ميلاد مجيد

المتروبوليت بولس صليبيا